حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثاني . شهر رمضان ١٤٣٣هـ / آب ٢٠١٢م

٢

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام سنة ١٩٣٥م

الكوفة هل هذا الاسم تحريف لكلمة "كوبا" الآرامية؟

الأستاذ يعقوب سركيس

لي في مجلة سومر البغدادية (٤ [١٩٢٨] ١٣٦) مقال عنوانه: «البصرة. هل أصل الكلمة ارامي» أوردت فيه أحد عشر قولاً في معنى هذه الكلمة فرأيت إرجاع اللفظة إلى اللغة الآرمية لما وجدت تأييداً لذلك على ما ذهبت إليه وأودعت الأمر للعلماء بعد دراستهم اللائقة بهذا الموضوع. ويبدو لي الآن أن الكلمة «الكوفة» كاختها «البصرة» كذلك آرمية لاتبعد أن تكون تحريفاً لكلمة «كوبا». وهل يمكن أن تكون كلمة «الكوفة» عربية مع أن في معناها عدة أقوال وردت في معجم ياقوت؟ ولعل في ذلك أقوالاً لم ترد هناك. وهذا ما في ياقوت:

(١) قال أبو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها أخذ (أخذاً) من قول العرب: رأيت كُوفاناً وكَوفاناً بضم الكاف وفتحها: الريلة المستديرة.

(٢) وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل... يتكوف تكوفاً إذا ركب بعضه بعضاً.

(٣) ويقال أخذت الكوفة من الكوفان. يقال: هم في كوفان أي في بلاء وشر.

(٤) وقيل سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد من قول العرب: قد أعطيت فلاناً كيفة أي قطعة.

(٥) ويقال كفت أكيف كيفا إذا قطعت. فالكوفة قطعت من هذا. انقلبت الياء فيها واواً لسكونها وانضمام ما قبلها.

(٦) قال قطرب: يقال: القوم في كوفان أي في أمر يجمعهم.

(٧) وقال أبو القاسم: قد ذهب جماعة إلاّ أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض. وذلك أن كل رملة تخالطها حصباء تسمى كوفة.

(٨) وقال آخرون: سميت كوفة لأن جبل «ساتيدما» يحيط بها فالكفاف عليها.

(٩) وقال ابن الكلبي: سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة موضعها. وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به»، انتهى، قلت ولا جبل هناك.

فهذه الأقوال المتضاربة في معنىٰ الكلمة مخالف أحدها للآخر تدفعني إلى القول إلى أنها غير عربية وإلى أنها أعجمية تحريفاً لكلمة آرمية لما يأتي. فقد جاء في تاريخ النساطرة الذي كان قدمه للنشر في مجلة «باترولوجيا اوريانتالس»[1] السيد أدى شير مطران سعرد فنشر فيها في سنة ١٩١٩(الص ٣٠٥=٦٢٨) أن الكوفة كانت تسمى «العاقول» قبل بنائها وإذا رجعنا إلى كلمة «عاقولا» الكلدانية نجد أن معناها هو: عوجة فتلة الطريق (دليل الراغبين المعجم الكلداني – العربي للمطران يعقوب أوجين منّا. المطبوع في الموصل الص٣٢٤) كما أن من معاني العاقول العربية -كما هو معلوم- منعطف الوادي أو النهر. هذا وقد مر بنا ما جاء في تاريخ النساطرة المار الذكر أن الكوفة كان يقال لها «العاقول». فهل كان المراد بهذه اللفظة المعنى الفصيح أو أن الكلمة غير الفصيحة بمعنى النبت المعلوم كانت معروفة وأن المراد كان بها؟ هذا ما أجهله فإن كان القصد بالكلمة المعنى غير الفصيح تكون مناسبة بين هذه اللفظة وكلمة «كوبا».

ولنرجع الآن إلى غير تاريخ النساطرة المار الذكر في هذا الشان ورجوعنا هو إلى كتاب عنوانه «تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية» المطبوع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت في سنة ١٩٠٩ فإنه يذكر (الص١٩) أن الكوفة كان يقال لها «كوبا» ولم يذكر معناها وإنما نجد في دليل الراغبين المار

(*) مجلة سومر ١٠/١٩٥٤ ص١٥٣-١٥٥.

(١) Patrologia Orientalis. Tome III Fasicule 4. Histoire Nestorienne (Chronique de Seert) Deuxieme partie... publiee par S. Gr. Mgr. Addaischer Paris 1919.
فكان هذا النشر بعد مقتله في إحدى سني ١٨/١٩١٤.

الذكر (الص٢٧٤) قوله «كوبا»: كبّ، شوكة، كوبا دكملا (بكاف فارسية) عاقول ترعاه الإبل ونجد كذلك كوبّا) (بتشديد الباء) في اللباب للقرداحي (المطبوع في بيروت في سنة ١٨٨٧ الص٥٥٥) . وهنا معناها: (الشوك، العاقول) أ هـ والكبّ العربية معناها –كما هو معلوم نبات من نوع الحمض فقد يكون القصد بنوع من الحمض العاقول بالمعنى غير الفصيح. وبعد هذا لي أن أقول: هل كان من الناس من يقول لهذا الموضع العاقول بالمعنى غير الفصيح ومنهم من يقول كوبا؟ أذكر هذا للمناسبة بين العاقول العربية غير الفصيحة بمعنى النبت المار الذكر وبين لفظة كوبا الآرمية التي معناها الكبّ العربية كما مر بنا كل ذلك. فإن صح أنه كان يقال لهذا الموضع «كوبا» يكون رجال الفتح الإسلامي قد سمعوا هذه اللفظة فحرفوها وقالوا «كوفة» وعدوها من العربية لكنهم اختلفوا كل الاختلاف في معناها.

وبعد أن أوردت رأيي في هذا الشان يبدو لي أن لاعجب في تحريف الفاتحين لهذه الكلمة فإن «سامرا» عربت وقتاً بـ «سرّ من رأى» وعلى السنتنا اليوم «أبو صيدة» تحريفاً لـ«باصيدا» و«أبو جسرة» تحريفاً لـ«باجسرا» الواقعتين في لواء ديالى. فقد كان هذا الاسمان الأخيران اسميهما في العصر العباسي على ما نجده في ياقوت كما أننا حرفنا اسم أثر لحاضرة كان اسمها «بزوفر» كذلك في العصر العباسي كما في ياقوت ولفظناه «أبو زوفر». وهذا الأثر واقع في أنحاء البغيلة التي سميناها أخيراً بالنعمانية. وفوق كل ذلك هذه لفظة بغداد نفسها فإن أعجميتها معروفة لدى الخاص والعام. فإلى علماء اللغة العربية والآرمية الذين يعنون بمثل هذا البحث أزف ذهابي إلى أن لفظة كوفة هي تحريف لكلمة «كوبا» الآرمية ولهؤلاء الرجال الأفذاذ القول الفصل.

* * *

صورة لمسجد الكوفة المعظم سنة ١٩٣٩م ويظهر فيها الخان الملاصق للمسجد